مجازر الأوربيين الصرب
في مسلمي البوسنة والهرسك

مجازر الأوربيين الصرب
في مسلمي البوسنة والهرسك

يبدو أنّ الحقد امتد فلم يعد مقصوراً على المسلمين الشرقيين ، بل إنه أيضاً شمل المسلمين الغربيين ، فكل من يحمل راية إسلام أو يرفعها فهو مُستهدَف ، بل إنّ الأمر أعظم من ذلك ، لأنّ أهل البوسنة والهرسك لم يكونوا أصلاً يحملون إلاّ بقايا جداً من الإسلام وتعاليمه ، ومع أنهم قد تخلّوا عن دينهم بشكل تطبيقي ، وأصبحوا نسخة طبق الأصل من المجتمعات الأوربية اللادينية لم يغفر لهم هذا الفسوق والمروق شيئاً ، وكانت المجازر التي لا يجهلها أحد ، ومن العبث أن نقول إنّ المجازر كانت برغبة قومية للتوحيد ، لأنّ المشاعر الدينية المُتطرّفة طفت على السطح بشكل ظاهر لا يخفى على ذي عينين ،

فلو كانت الرغبة رغبة في الوحدة كما يدّعي الصرب فما هو سبب تدنيس المساجد وتحطيمهاحتّى بلغت المساجد التي دُمّرت عشرات الآلاف[1]!!

وما هو الداعي لتحقيق الوحدة من اغتصاب المسلمات!

هل في الاغتصاب تتعزز مشاعر الوحدة الوطنية؟!

وما علاقة تحقيق الوحدة بتقطيع رؤوس الأطفال أمام أمّهاتهم؟!

هل من شأن هذه الممارسة أن تزرع التعاون الوطني أو الاتحاد الفيدرالي؟!

لا يخفى على عاقل أنّ هذه حجّة بالية لا ينهض بها منطق ، وإنّ التفسير الوحيد والواضح لهذه المجازر وهذه الحرب المليئة بالحقد والكراهية والانتقام؛ التي إن وُصِفَت بأنها دمويّة يكون الوصف بعيد كل البعد عن حقيقتها التي تفوق الدمويّة بأضعاف الأضعاف، ولا شكّ أنّ هذه الشراسة والإجرام إنما صدرت عن حقد دفين

---

(١) مآسي المسلمين في البوسنة والهرسك: لمحمد عبد القادر أحمد ص ٨٨.

عظيم قد غطّى على العقول ، وسحق الصفة الإنسانية لهؤلاء الناس ، بل وتجاوزوا في وحشيّتهم وحشيّة الذئاب والضباع الضارية في البوادي والصحاري ، فإنّ الوحش يفترس ضحيّته لحاجة الإشباع ، فإذا شبع تركها وولّى ، أما أن يكون الفتك والقتل والتدمير بهذه الصورة؛ فإنّ وحوش العالم في بواديها وصحاريها وغاباتها لتبرأ إلى الله منه .

أيام سيادة المعسكر الشيوعي على الشرق ، كانت هناك جمهورية فيدرالية متحدة مؤلّفة من ستة جمهوريات ، كانت هذه الجمهورية هي جمهورية (يوغوسلافيا) الشيوعية وكانت تتألّف من مقدونيا وكرواتيا وسلوفينيا والجبل الأسود والبوسنة والهرسك وصربيا ، وبعد أن تحطّم الاتحاد الشيوعي وهو الاتحاد السوفييتي والجمهوريات التي انضمّت معه؛ تزعزعت قوى كل الدول الاشتراكية التي كانت تتّخذ من الاتحاد السوفييتي أباً روحياً ودموياً أيضاً ، فأخذت كل جمهورية من هذه الجمهوريات الستة تُعلن استقلالها ، فاستقلّت كرواتيا ومقدونيا والبوسنة والهرسك إلى آخره ، واستمرّت صربيا

والجبل الأسود ، ومن المعلوم أنّ جميع هذه الجمهوريات جمهوريات مسيحية في حقيقة الأمر ، إلاّ جمهورية البوسنة والهرسك فإنها كانت ولاية إسلامية ، وبطبيعة الحال نتيجة للسيطرة الشيوعية تضاءلت معالم الشخصية الإسلامية لهذه الولاية أو الجمهورية ، وبالتالي غدا المسلمون اسماً لا علاقة لهم بالشريعة الإسلامية لا في سلوكٍ ولا في قانونٍ ولا في مأكلٍ ولا في مشربٍ ولا آدابٍ ولا أخلاقٍ تتّصل بالشريعة الإسلامية ، وإنما هي آدابٌ وأفكارٌ وأخلاقٌ غربيةٌ وشيوعية[1] ، فكان أهل البوسنة والهرسك لا يُطبّقون إلاّ الأمور اليسيرة جداً من أحكام الشريعة الإسلامية ، ومن العسير والعسير جداً أن تُميّز بين مسلمة ومسيحية أو شيوعية في هذه المجتمعات ، وكان ذلك نتيجة أثر الثقافة الشيوعية والاتّصال المباشر مع الغرب دون نمو الشخصية الوطنية

---

(١) الشيوعية: هي فكر عقائدي اقتصادي اجتماعي يقوم على نفي وجود الخالق عزّ وجل ، وعلى توزيع وسائل الإنتاج على الجميع بحيث تكون ملكيتها عامة ومساواة أبناء المجتمع ، وأثبتت التجربة العملية أن زعماء هذا الحزب كانوا أكبر أثرياء العالم مع كل دعواتهم ومناظراتهم إلى المساواة بين جميع المواطنين.

المستقلّة ، أو الإحساس بالهوية الإسلامية أو الانتماء إلى الحضارة العريقة.

أما البوسنة والهرسك فهي مؤلّفة من ٤,٥ مليون نسمة ، يُشكّل البوسنيين فيها نسبة ٥٠٪ ويُشكّل الصرب نسبة ٣١٪ والكروات نسبة ١٨٪ وبجوار هذه الدولة دولة الصرب ، وبطبيعة الحال كان لها أطماع في ضمّ البوسنة والهرسك إلى صربيا الكبرى ، ونتيجة لاستقلال الولايات وتحوّلها إلى جمهوريات بعد انحلال الاتحاد السوفييتي في كلّ المعسكر الشرقي ، حصل هناك استفتاء بين الشعب في البوسنة والهرسك ، وأجمع البوسنيون والمقدونيون وكثير من صرب البوسنة والهرسك على الاستقلال عن صربيا ، ولكن هذا الواقع لم يُرضِ صربيا الكبرى ، فأخذت تمدّ الجالية الصربية في البوسنة والهرسك بالسلاح والطعام والوقود والفكر الإجرامي أيضاً ، ثم قامت باعتقال زعماء المسلمين وعلمائهم ، وكان هذا الاعتقاد بمثابة إنذار لكل مسلم في يوغوسلافيا تتعارض إرادته مع إرادة صربيا الكبرى.

وما كان من المسلمين إلّا أن استعدّوا لعملية الاحتلال

المسلّح التي أخذ الصرب يُعدّون لها وبشكل سريع ، فقد كانت للصرب طموحات تساوي الطموحات الإسرائيلية ، فكما نعلم أنّ أرض إسرائيل كما يحلمون بها هي من الفرات إلى النيل ، وأيضاً فإنّ الصربيين كانوا يحلمون بأرض تشمل صربيا وجمهورية الجبل الأسود ، وتشمل ثلث كرواتيا ، وجميع أراضي البوسنة والهرسك تقريباً.

وبدأ تنفيذ المخطط الاحتلالي الاستعماري النازي ، فأخذا هؤلاء الجنود الصربيون بأسلحتهم الثقيلة يدخلون إلى المدن البوسنيّة فيقتلون الرجال ويُذبّحون الأطفال ويقتلون النساء ويُهدّمون البيوت ويحرقون الأشجار ، وأما من حالفهم الحظ من أبناء البوسنة والهرسك الذين لم يُقتلوا بالسلاح فإن سيُقتلون جوعاً وبرداً ، لأن هؤلاء الغُزاة قد منعوا الإمدادات الغذائية ومنعوا أيضاً الإمدادات الوقودية ، ولا يخفى على أحد شدّة البرد في تلك المناطق ، ففي فصل الشتاء تُغمر هذه المناطق بالثلوج إلى ارتفاع متر أو مترين وفي بعض المناطق إلى أكثر من ذلك ، فتُصبح الحركة والتنقّل مستحيلة ، فكانت الأجواء

عبارة عن مجازر وسفكاً للدماء بالإضافة إلى برد شديد وجوع مُهلك.

وأما البوسنيون المسلمون فقد استطاعوا أن يحصلوا على القليل من الأسلحة الخفيفة للدفاع عن دمائهم وأعراضهم وبيوتهم ومساجدهم ، ولكن الصرب قد لقوا دعماً كاملاً من أوربة والولايات المتحدة الأمريكية ومن ورائهم الأمم المتحدة ، يتظاهرون بالشفقة على هؤلاء المسلمين الآمنين ، ولكنهم في حقيقة الأمر بعد أن قامت الكرة الأرضية على قدم واحدة تُطالب بوقف هذه المجازر، ولكنهم بارعون كما نعلم بالمماطلة والدجل والخداع ، ويُذكّرنا هذا الواقع بالواقع في فلسطين أيام الانتداب البريطاني ، والمجازر التي كانت ترتكبها العصابات الصهيونية تحت الدعم والرعاية البريطانية ، وسباق الماراتون الطويل الذي يمتلأ بالدجل والخداع من المؤتمرات والقرارات النظرية التي لا تجد لها أي تطبيق على أرض الواقع ، وأثناء ذلك ترى دماءً تُسفك وأعراضاً تُنتهك ونساءً تغتصب ومساجد تُدمّر وأسرى مسلمين يُعامَلون كما يُعاملُ الساديّ الحاقد ضحيّته ، فلا يجد

سعادة إلاّ حين يسمع آلامهم وآهاتهم تصدح بها حناجرهم فتملأ الآفاق بصداها ، مع العلم أنّ أوربة وأمريكا منعت جميع الدول من تقديم العون للمسلمين الضحايا ، وتركتهم نُهبةً بأيدي هؤلاء الوحوش ، فمُنِعَت كل الدول الإسلامية وغير الإسلامية من تقديم المعونات ولا سيما الأسلحة لدفاع هؤلاء عن أنفسهم ، فترى أنهم لا يرحمونهم ولا يتركون رحمة السماء تتنزّل عليهم!

وفي بعض الدول الإسلامية اعتُقل الكثير من الشباب المتعاطفين مع مسلمي البوسنة ، والذين عزموا أن يخرجوا إلى ديارهم ليُقاتلوا في صفوفهم ، وكان ذلك نتيجة الهيمنة الأمريكية والأوربية العنيفة والتي تُلّوح بالجزرة والعصا بآن واحد[1] ، وكان الصرب بطبيعة الحال يملكون قوة عسكرية كبيرة مقارنة مع المقاومين الإسلاميين ، وكانوا يُسيطرون على وسائل الإعلام ويعرضون صوراً لأناس قد مُثّل بهم رؤوس قد قُطّعت وأعضاء قد انتشلت ، ويقولون للشعب الصربي: إنّ هذه

---

(١) مآسي المسلمين في البوسنة والهرسك: لمحمد عبد القادر ص ٩٢ وما بعدها.

صور الجنود الصربيين ، وإنها نتيجة لوحشية الجنود المسلمين!!

والحقيقة أنها صور للبوسنيين المسلمين الذين ذُبّحوا وقُطّعت أطرافهم وفُصلت رؤوسهم عن أجسادهم ، ألا يكفي هذا القاتل الصربي أن يوجّه بندقيّته فيقتل المسلم الذي يُدافع عن أرضه ووطنه وينتهي الأمر ، فما الذي دفعه إلى التمثيل بجثمانه فيقطع رأسه ويفصله عن جسده ويُقطّع أطرافه ويفقأ عينيه ويجدع أنفه ، فهذه الممارسة إن دلّت على شيء فإنما تدلّ على حقد دفين ووحشية تبرأ الوحوش منها.

لقد شهد المسلمون الذين فرّوا إلى جمهورية كرواتيا المجاورة للبوسنة وإلى هنغاريا بصحّة ممارسة الصرب للتطهير العرقي الطائفي ، فقد أخذوا يُصرّحون صراحة بأنهم لا يريدون في هذه الأراضي شيئاً يتعلّق بالإسلام والمسلمين ، ويريدون أن يوحّدوا المنطقة طائفياً ، فقتلوا من قتلوا وكانت هناك مقابر جماعية دُفِن بها المئات والآلاف من المسلمين ، وما تزال هذه المقابر تُكتشف

حتى الآن ، مع سعي المحتلّ الصربي إلى تمويهها ، وكما هي عادة المجرم دائماً ، من قتلوه قتلوه ومن لم يقتلوهم جمعوهم وهجّروهم وأجبروهم على الإقامة في معسكرات محاصرة من قِبَلِ الجنود يسومونهم فيها سوء العذاب ، فلا تسلم امرأة من الاغتصاب إلاّ نادراً ، ولا شيخ من الذلّ والضرب المبرّح ، وبطبيعة الحال جعلوا هناك معتقلاً نموذجياً ، وأخذوا يُعلنون عنه ويُصرّحون به ويسمحون للصحفيين أن ينشروا الحقائق التي تجري فيه ، وإنما تُرِك هذا المعتقل للدعاية والإعلان.

(وتتضمّن مجلة (إيبوكا) في عددها الأخير وهي مجلة أسبوعية مقرّبة من الحزب الحاكم الاشتراكي في الصرب حديثاً يذكر أنّ صرب البوسنة أصبحوا يسيطرون على مساحات واسعة من شمال البوسنة عبر سياسة التنظيف الطائفي ، وتقول المجلة: إن هذه المنطقة أصبحت نظيفة من المسلمين والكروات ، وإن جيش الصرب يحاصر القرى المسلمة ، وإذا لم يرفع المسلمون الراية البيضاء على مآذن مساجدهم فسوف يُسوّي الصربيّون القرى

بالأرض ويُقيمون بدلاً عنها قرى صربية)[1].

فقد أُبيدَت قرى عن بكرة أبيها ومُسحت من ظهر الخريطة مسحاً تاماً، فلم يعد هناك أثر الحياة فيها، دمّرت البيوت وحُطّمت المساجد وأُحرِقت المزارع ولا تجد فيها إلاّ دماراً وخراباً والبوم ينعق فيها، وأثراً لمقابر جماعية ضمّت الآلاف من النساء والأطفال والرجال قد مُوّهت تمويهاً لستر هذه المجازر، وإذا نظرت إلى الأنهار التي تملأ تلك الأقاليم الجميلة وجدتها تفيض بالرؤوس والأعضاء والجثث التي قُطّعت، وترى أن الجثث تسير كقوافل في هذه الأنهار!!

وإذا حُوِّل دجلة في يوم من الأيام إلى نهر أسود نتيجة المكتبة العربية الإسلامية التي أُلقيت فيه، فقد حُوَّلت أنهار البوسنة والهرسك إلى أنهار حمراء تفيض بالدماء والأشلاء!!

ومع الأسف فإنّ وسائل الإعلام العالمية تواطأت وتآمرت على إخفاء هذه المظاهر، فقد تلاقت أهداف

---

(١) مآسي المسلمين في البوسنة والهرسك: لمحمد عبد القادر أحمد ص ٩٤.

الصرب مع أهداف الأمريكيين والأوربيين الذين يسعون جميعاً إلى تطبيقها في الأمّة الإسلامية ، وما نموذج البوسنة والهرسك إلاّ عيّنة من العيّنات ، فهناك في العالم الإسلامي عيّنات كثيرة ، فقد كانت القدس أيام الصليبيين مسرحاً من مسارحها ، والواقع في فلسطين وفي البوسنة والهرسك وفي كشمير وفي الاتّحاد السوفييتي سابقاً الذي أباد كما يقول التاريخ الملايين من المسلمين في عملية إبادة جماعية يُسمّونها التطهير العرقي ، ومجازر الاتحاد السوفييتي في الجمهوريات الإسلامية مثل أفغانستان وداغستان وطاجكستان لا تخفى على أحد.

ولقد قدّر الله عز وجلّ لي أن أسافر إلى روسيا الاتحادية أيام الاتحاد السوفييتي ، ثم اقتضت المصلحة أن أتوجّه إلى جمهورية تُعتبر جزءاً من روسيا الاتحادية ، وأقول روسيا الاتحادية ولا أقول الاتحاد السوفييتي ، وكان الفاصل بين موسكو عاصمة روسيا الاتحادية وبين أوفا عاصمة بشكيريا ساعتين من الطيران ، فوجدت الشعب هناك شعباً مسلماً أصله تتري ، وأخذوا يُكلّمونني بعشق شديد عن الفاتحين المسلمين الأوائل ، وكان

يُقدّسون قتيبة بن مسلم الباهلي رضي الله عنه ، ووجدت بلاداً قد مُلئت بالخضرة فلا تقع العين إلاّ على خضراوات وأنهار ، ثم همس البعض في أذاني قائلين وهم يرتجفون من الخوف والذعر أن يسمع هذا الكلام أحد غيري فقالوا: إنّ الاتحاد السوفييتي حشر جميع المفاعلات النووية الذرية في المناطق الإسلامية ، وكانت منطقتنا إحدى أهمّ هذه المناطق ، وذلك حرصاً منهم على شعبهم الروسي من تسرّب ذريّ أو إشعاعي؛ فإذا حصل مثل هذا التسرّب فإنما يُصيب ببلائه المسلمين الذي وُضِعَ بين ظهرانيهم ، ولا يُصيب روسيا.

ومن هذا يتبيّن لك أنّ العداء للأمة الإسلامية عداء كامن في شتّى بقاع أوربة وأمريكا ، وإنما هو نتيجة تأثيرات صهيونية صليبية على شعوب هذه البلاد التي لو عرفت الحقيقة لما اتّخذت من الأمة الإسلامية هذا الموقف ، ولما تغلّب الحقد عليها هذا التغلّب.

ونعود فنقول: إنّ أهل البوسنة والهرسك قد شُرّدوا ومُزّقوا وقُتِل من قُتِل ولجأ إلى دول الجوار من لجأ ، وكان اللجوء على الشكل التالي:

٣٠٠,٠٠٠ لاجئ في سبليت في كرواتيا.

٨٠,٠٠٠ لاجئ في زغرب عاصمة كرواتيا.

وهناك لاجئون في أماكن أخرى من كرواتيا بحيث يصل عدد اللاجئين في كرواتيا كلها إلى ٥٠,٠٠٠ لاجئ تقريباً ، و٢٠٠,٠٠٠ في ألمانيا ، و٢٧,٠٠٠ في هنغاريا ، و٢٥,٠٠٠ لاجئ في النمسا ، و٢٠٠٠ لاجئ في السويد ، ووفقاً لتقديرات قديمة أوردتها صحيفة (الأندبندنت) في مقال لها بعنوان (ضمير أوربة أمام اختبار اللاجئين) وصل إلى حوالي ٦٠٠,٠٠٠ شخص فقدوا بيوتهم في كرواتيا والبوسنة والهرسك ، وهناك حوالي ٣٠٠,٠٠٠ فقدوا بيوتهم من المسلمين القاطنين صربيا ، إضافة إلى عشرات الآلاف من المشرّدين ، ويُعد المركز الإسلامي الكبير في زغرب إحدى نقاط التجمّع لهؤلاء المنكوبين ، ويظهر لك أنّ أوربة وأمريكا وعلى رأسهم الأمم المتحدة قد افتقرت في هذه الأثناء ، فلم تعد تمتلك معونات مادية تُقدّمها لهؤلاء اللاجئين الذين يكادون أو يموتون برداً وجوعاً وعطشاً ، فأخذت الأموال الإسلامية تتدفّق لإنقاذ هؤلاء المسلمين ، فالإضافة إلى بعض الناس

الذين ما زال في قلوبهم شيء من الحسّ الإنساني ، مع العلم أن المساعدات المالية الإسلامية ما سُمِحَ لها إلاّ أن تصل إلى معسكرات هؤلاء في دول الجوار ، وتمّ إشراف الأمم المتحدة على هذه الأموال ، فمنعت استخدامها في شراء الأسلحة ليُدافع الناس بها عن أنفسهم ، وإنما أُبيحت لشيء واحد هو تأمين الطعام والشراب وبعض العلاجات وخارج مناطق البوسنة والهرسك أي في دول اللجوء ، إلاّ استثناءات يسيرة لا تكاد تذكر[1] ، وقدّرت الأمم المتحدة أعداد اللاجئين بمليونين ونصف لاجئاً ، لجأ الكثير منهم إلى دول يوغوسلافيا المنحلّة ، ومنها كرواتيا التي استوعبت أعداداً كثيرة ثم عجزت عن الاستيعاب فأغلقت أبوابها أمامهم ، ولم تفتح الأبواب إلاّ الدول التي تمّ ذكرها سابقاً وهي ألمانيا وهنغاريا والسويد والنمسا ، وأما بقية الدول الأوربية فكأنها ليست في القارّة على الإطلاق.

ومن المعروف في علم القوانين أن الذي يُشاهد جريمة أمام ناظرَيه ويسكت وهو قادر على إيقافها يُعتبر شريكاً في

---

(١) مآسي المسلمين في البوسنة والهرسك: ص ٩٧.

هذه الجريمة ، ويُعتبر قاتلاً سلبياً يُعاقب عقوبة تليق بإجرامه ، والسكوت إقرار ، ولكن ما بالهم ينطقون في ظل هذه الحالة وهم الذين أحدثوا جرائم ومجازر أخطر ضدّ الأمة الإسلامية من الحروب الصليبية إلى الاستعمار الأخير.

والحقيقة الثابتة أنّ الصراع بين الأمة الإسلامية وبين هؤلاء لن ينتهي إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وتلك حكمة إلهية عظيمة من أجل أن يستبين المؤمن الحقّ من المؤمن المزوّر ، فالذهب لا يُختبر إلاّ بالنار ، ومصداق هذه الاستمرارية في الصراع قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾[3].

* * *

(١) الصف: ٣٢.
(٢) المائدة: ٦٤.
(٣) التوبة: ٨.